إهمال قواعد المنظور والضوء والظل

من الملاحظ أن المصور لم يكن يراعي في ترتيب وحداته أو في رسمها قواعد المنظور، وقد تأثر في ذلك بالفن البيزنطي وهذه من الأمور التي يعاب عليها الفن الإسلامي، ولكننا في الواقع نغبنه إذا ما طبقنا عليه تلك القواعد؛ لأنها لم تتبع في أوربا إلا ابتداء من عصر النهضة وحتى بعد ذلك التاريخ لم تكن الصور التوضيحية في الكتب خاضعة لهذه القواعد كما تدلنا على ذلك مثلاً صور نسخة من قصص أيسوب من القرن ١٥م وصور مخطوطة عن سقوط رتشارد الثاني.

ولم يكن المصور المسلم جاهلاً لهذه القواعد، بل نجد محاولات عدة من قبل المصورين لاتباع قواعد المنظور في بعض وحدات الصور، وبخاصة قطع الأثاث كالعروش والمناضد وما أشبه، وقد يوفق المصور في محاولاته فيرسم المنظور صحيحاً أولاً يوفق فيخطئ بعض الشيء وقد فضل استخدام منظور عين الطائر في رسم موضوعاته.

وانصراف المصور عن اتباع هذه القواعد مع علمه بها راجع إلى إحساس هو الذي دفعه إلى عدم معالجة المنظور بأسلوب علمي كزميله في الغرب. وهو الذي دفعه إلى عدم رسم الأشياء كما تراها العين في وقت معين ومن زاوية بعينها؛ إذ أنه يسجل بذلك المنظور في وقت معلوم، وكأننا به يريد أن يصور لنا كل وحدة على حقيقتها مجردة عن تلك

الظروف الطارئة من ضوء وظل أو احتفاء وظهور أو تقديم وتأخير. لأن كل تلك أحوال عارضة تزول بزوال مسببها وتتغير بتغير الناظر ومكانه إلى الشيء كما تتغير هذه الأحوال بتغير الوقت. ويكون الفنان بتخليه عن استخدام قواعد المنظور قد أراد إظهار الأشياء كأن الشخص يرى كل وحدة منفصلة عن الثانية لا ارتباط بينهما وكأننا به يريد أن يمتع الناظر لرسمه بما يمكن أن يتمتع به هو بانتقاله بين أرجاء المنظر المرسوم.

وما يذكر في هذا الصدد أن المصور روبنز رسم مرة صورة ظل الأشجار فيها في اتجاه وظل الأشخاص في اتجاه آخر.

ومما يتصل بنظرته إلى قواعد المنظور الشفافية، ذلك أن المصور نراه يرسم لنا ما يوجد داخل الحجرات أو في باطن الأرض أو في قاع المياه ووسيلته في ذلك عدم رسم جدران الحجرات أو عمل تجويف في سطح الأرض لنرى منه ما في قاع الآبار أو عمل قطاعات في مجاري المياه لنرى منها ما يستقر على قاعها وهكذا.